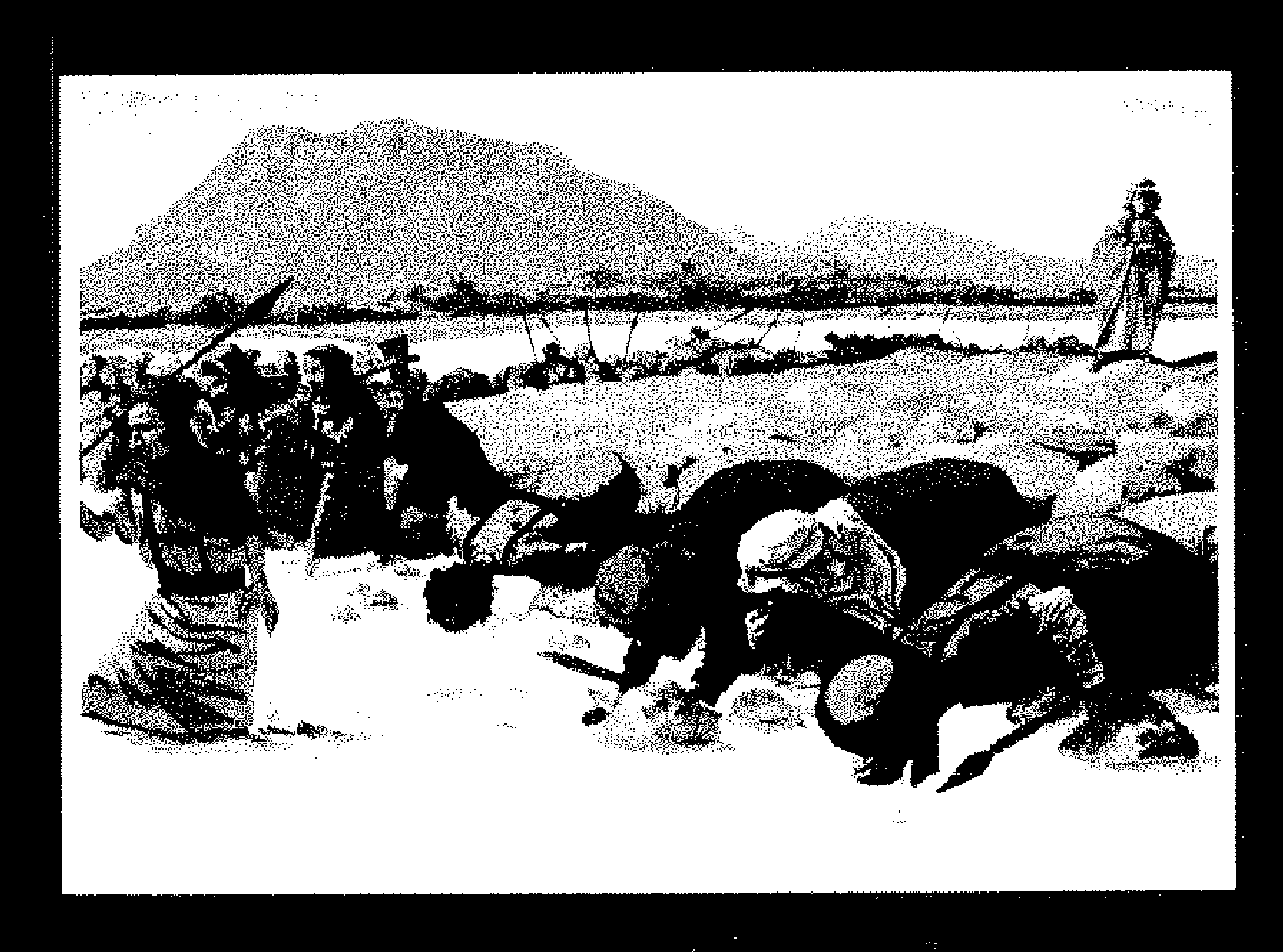
قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم : أحمد بهجت ريشة : مصطفى حسين

دار الشروق



تباعدَ اليهودُ عن تَعاليم التَّوراةِ التي نَزلتْ على موسىٰ عليه السلام ، حين هَجروا كثيراً من تَعاليمِه وأَوامِرِه ، عندئذٍ وقعَ لهم ما يقعُ لكلِّ أُمةٍ تهجرُ كِتابَها أو تُضيعُ أَوامرَ نَبيِّها المُرسلِ . .

تَدهورتْ أَحوالُ بني إسرائيلَ عندئذٍ . . وهُزِموا من أَعدائِهم . . وآستولى الأعداءُ على تابوتِ العهدِ ، وفيه بقيةٌ مما تركَ آلِ موسىٰ وَهارونَ ، وتَشرَّدوا في الأرضِ ، وطُرِدوا من دِيارهِم ، وساءَتْ أَحوالُهُم ، وشاعَ الذُّلُّ بينهم ، وحكَمَهُم الضّعفُ ، ثم شاءَ الله تباركَ وتعالىٰ أن يَرحمَهُم فأَرسلَ إليهم نَبيّاً . . وبدأ هذا النبيُّ يَدعو قَومهُ إلى الله . .

وذات يومٍ ذهبَ كبارُ القومِ من بني إسرائيلَ إلى هذا النبيِّ وقالوا له : أَليس الله هو الذي بعثكَ إلينا ؟

قال : نعم .

قالوا له : أَلسنا مُشرَّدينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : أَلسنا مَظلومينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : لماذا لا تَسألُ أن يبعثَ لنا مَلكاً يَجمعُنا تحت رايتهِ كي نُقاتلَ في سَبيلِ الله ونَستعيدَ حقَّنا ونُصلحَ ما فَسدَ من أَحوالِنا ؟

قال نَبيُّهم :أخافُ إن دعوتُ الله أن يَبعثَ لكُم ملِكاً يَدعوكُم إلى القتالِ ألا تُقاتِلوا .

قال كِبارُ القومِ :ولماذا لا نُقاتِلُ في سَبيلِ الله وقد أُخرِجْنا من دِيارِنا وأَبنائِنا ؟

قال نَبيُّهم : لن تَتراجَعوا لو حدثَ ما تَطلُبونَه ؟

قـالـوا : أبـداً لن نَتـراجـعَ . .

قال نبيُّهُم : سوف أسـأَلُ الله تعالىٰ أن يختارَ لكم مَلِكاً تُقاتِلونَ تحت رايَته .

آنصـرفَ القـومُ ودَعـا النبـيُّ ربَّ العالمينَ أن يختارَ لهم مَلِكاً . .

في نفسِ الـوقتِ . . خرجَ طـالوتُ يَرعىٰ غَنَمه . . كان طالـوتُ واحِداً من بني إسرائيلَ ، وكـان قلبُه يَنـطوي على الخيرِ ، وكان معه أَحدُ فِتيانِه ، فآنشغلَ في حَديثٍ هامسٍ معَ الفتى ، فَشَردتْ غنمُه في السُّهولِ .

ثم آنتهىٰ حَديثُه مع الغُلامِ ، فنـظرَ حولَه فلم يـرَ الغنمَ ولاَ رأى الحميرَ . . قال لِغُلامِه: لقد آستَغرقَنا الحديثُ فَسارتِ الأغنامُ في الصحراءِ.. تعالَ نبحثُ عنها . .

آنـطلقَ طالـوتُ في الصحراءِ بحثاً عن قَطيعهِ ، فسارَ مَسافةً طَويلةً ، حتى إذا أَجهَـدهُ التعبُ وآنحـدرتِ الشمسُ نحـو المَغيبِ ولم يجدْ غنمَـه ويَئِسَ من العُثور عليها ، قرر أَن يذهبَ إلى النبيِّ ليسألَه أين ضاعتْ . .

عـاد طـالـوتُ من الصحـراءِ وشقَّ طـريقَهُ إلى بيتِ نبيِّهم ودخـلَ عليه . .



قـال طالوتُ :أيها النبيُّ الكريمُ . . خـرجتُ أرعىٰ الأغنـامَ والحـميـرَ ، فَشردتْ مني في الصحراءِ ، ولم أَعرفْ أين ذهبتْ ، وقد جئتُ أَسألُك عنها . .

سأَلَه النبيُّ : هل تَحسُّ بالقلقِ على أَغنامِكَ وحَميرِكَ ؟

قال طالوتُ : نعم . .

قـال النبيُّ : لا تُشغلْ بـالَك بهـا ، فقد عادتْ إلى بيت أَبيكَ . . دعكَ من مَوضوعِ الأغنامِ وآستمعْ إليَّ . . لقد سـأَلني المَـلأُ من بني إسـرائيـلَ أن أَدعـو الله أن يختـارَ لهم ملكـاً يُقـاتِلونَ

تحت رايتِه في سبيل الله ، وقد دعوتُ الله فاْختاركَ مِلكاً على بني إسرائيلَ . . وعليكَ أن تُعِدَّ نَفسكَ للقِتال.

سألَ طالوتُ : الله هو الذي آختارَني ؟

قال : نعم . .

قالَ طالوتُ وهو يَحسُّ بالسّعادةِ والرّهبةِ : أنا رهنُ إشارتِكَ . .

قال النبيُّ : غداً نُقابلُ رؤَساء بني إسرائيلَ .

جاءَ الغدُ ، فاْجتمَع رُؤساءُ بني إسرائيلَ واْجتمَع معهم طالوتُ . .

وقال لهُم نبيُّهُم : إن الله قد بعثَ لكُم طالوتَ مَلكاً . .

وَبرزتْ عواملُ العِنادِ في نُفوسِ بني إسرائيلَ فقالوا : كيفَ يكونُ له المُلكُ ونحن أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

سألَهم نبيُّهُم : لماذا تَتصوَّرونَ أنكُم أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

قال الرؤساءُ : نحن أغنىٰ كثيراً منه . . أنظرْ إليه . . إنه يَرتدي ملابسَ الرُّعاة الفقيرةِ . .

قال النبي : ليستِ العِبرةُ في حُكمِ الشُّعوبِ بالغِنى أو الفَقر ، العِبرةُ بالقُدرة على قِيادةِ الشُّعوب ، إن طالوتَ هو آختيارُ الله تعالىٰ لَكُم ، وقد آختارَه الله تعالىٰ لِعِلمِه وقُدرَتِه .

عادَ رؤَساءُ بني إسرائيلَ يَقولونَ : نحن نُصدِّقُك أَيها النبيُّ ، ولكن كيفَ نَنسى أننا نحن شُرفاءُ هذه الأمَّة وسادتُها ؟ فكيف تَجاهَلنا الله وآختارَه هو ؟

قالَ النبيُّ : ليس لِمِثلي أَن يسألَ الله لماذا ؟ إن الأنبياءَ لا يَسألونَ وإنما يَستمِعون ويُطيعونَ . . وهذا هو

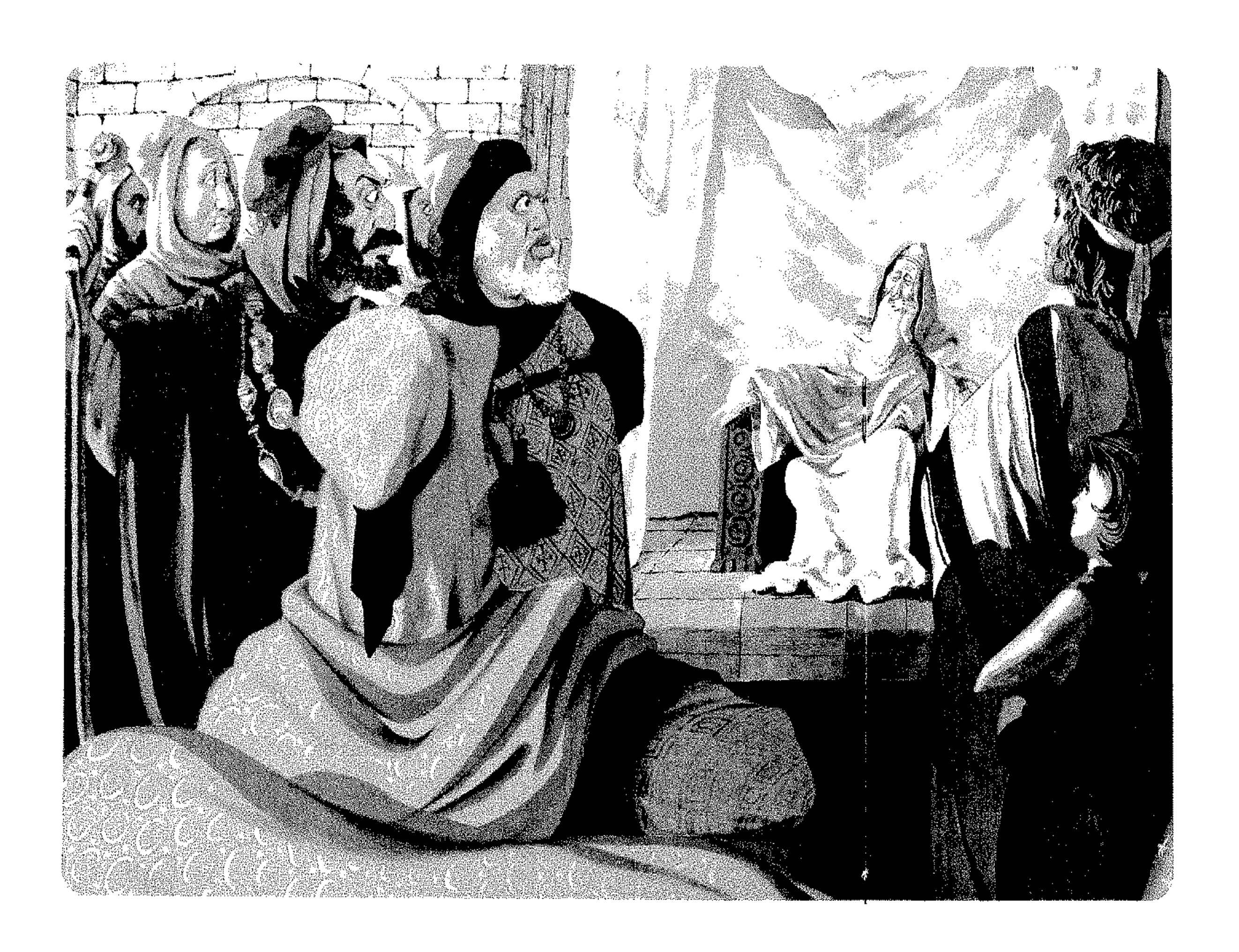
آختيارُ الله له . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : أنتَ تسدُّ علينا بابَ الحِوارِ أيّها النبيُّ . . نحن نُريدُ أن نَعرفَ لماذا آختيرَ طالوتُ ملكاً علينا . . إن طالوتَ فقيرٌ . . ومن الرُّعاةِ . . ليس من عائِلةٍ كبيرَة ولا تاريخَ له في الحرب ولا في الحُكم ولا في السِّياسةِ . . أليس من حقِّنا أن نسألَ لماذا فَضَّلَه الله علينا ؟

قال النبيُّ : عِلمُه هو الذي فضَّلَه عليكُم . . لقد آتاهُ الله بَسطةً في العِلمِ والجِسمِ . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : إنّ فينا من هو أقوى منه جَسداً وأكثَر منه عِلماً . .

قال النبيُّ : أيُّها السّادة . . لقد أَفهمتُكُم أكثَر من مرةٍ أن العِبرةَ في الحُكم بِقُدرةِ الحاكِم على قِيادةِ الشعبِ ، ولقد حدَّثتكُم أن آختيارَه للمُلكِ جاءَ من الله . . وليس لي أن أسألَ الله لماذا آختارَه للمُلك . . لعله آختارَه لِيَبتَليه . . من يَدري ؟ إن أَحداً لا يعرفُ أَسرارَ الله وحِكمتَه في خَلقِه .



قال سادةُ بني إسرائيلَ : كيف نتأكَّدُ أن الله هو الذي آختارَه لنا ؟ نُريدُ مُعجِزةً تُثبتُ صدقَه .

قالَ نبيُّهم : آذهبوا إلى المَعبدِ غداً فسوف تَقعُ المُعجزةُ ويأْتيكُم تابوتُ العهدِ .

آحتَشدَ خلقٌ هائلٌ من بني إسرائيلَ في اليومِ التّالي آنتِظاراً لوُقوعِ المُعجِزةِ . . كان تابوتُ العهدِ يَضُمُّ بَعضَ أَلواحِ التوراةِ التي أُنزلتْ على موسىٰ ، كما كان فيه بعضُ آثارٍ تَركَها موسىٰ وهارُون . . وكان هذا التابوتُ

قد سُلِبَ منهم وآستولى عليه عَدُوُّهم . .

وقفَ الناسُ يَنتظِرونَ وُقوعَ المُعجزَةِ . . وفي الوقتِ الذي حدَّدهُ نبيُّهم فُوجِئوا أن التابوتَ يَعودُ إلى مكانِه في المَعبد ، حَملتهُ الملائِكَةُ وَوضَعتهُ في مكانِه وسطَ دهشةِ الناسِ وآنبهارِهم . . لم يَروا المَلائكةَ ولكنَّهم رأوا تابوتَ العَهدِ يَسبحُ ببطءٍ وجَلالٍ إلى مكانِهِ في المَعبدِ .

وأحسَّ الناسُ بالسَّكينةِ وآطمأنّوا لاختيارِ طالوتَ ملِكاً عليهم . .

وهكذا أَصبحَ طالوتُ مِلكاً على قَومِه . .

قَدَّم الناسُ له فروضَ الطّاعةِ في حفلٍ كبيرٍ وآنتظَروا أوامِرَه . .

كان أولُ أمرٍ أصدَره طالوتُ أن يَبدأَ تكوينَ جيشٍ قويٍّ يتَدربُ على القِتالِ . .

أرسلَ طالوتُ في كلِّ قُرى بني إسرائيلَ يدعوُ الشبابَ القادرَ على حملِ السلاحِ إلى الحرب . . آنضمَّ إلى الجَيشِ جَمعٌ كثيرٌ من الشبابِ والرجالِ . . وبدأتْ مصانعُ الدُّروعِ والأسلحةِ تَعملُ ، وبدأَ التدريبُ على آستِخدامِ الأسلحةِ . .

كان طالوتُ يعرفُ أن الحربَ تَعني تَوظيفُ كلِّ قُوةِ الشعبِ وقِيادتِه لِهدفٍ واحدٍ . . هو النصرُ العسكريُّ . . وكان يعرفُ أن الحُروبَ تَقتضي نَفَقاتٍ كثيرةً وآستِعداداتٍ ضخمةً .

إن الحربَ هي السِّلاحُ والإنسانُ الذي يَستخدِمُه . لا بدَّ من توفيرِ السِّلاحِ إذاً . .

وبدَأ طالوتُ في تَوجيهِ كلِّ قُوةِ قَومِهِ

لِصناعةِ الأسلحةِ ، وكان يـرقُبُ بنفسِه حظَّ الأسلِحةِ من القُـوةِ والصَّلابـةِ ، وكـان يَمتحِنُهـا بنفسِـه ويُشرفُ على التَّدريب شَخصِيّاً .

وآستمرَّ صُنعُ السلاحِ والتَّدريبِ فَترةً طَـويلةً ، حتى آطمأَنَّ طـالوتُ لِسِـلاح قومِه . .

كـان عدوُّهُم هـو جـالـوتَ ، وكـان جالوتُ قائِداً عَظيماً لم يَهزِمْهُ أَحـدٌ . . وكانَ يَتبعُه جيشٌ هائِلٌ لا نِهايةَ لِجُنـودِه ولا مثيـلَ لأسلحَتِه في القُـوةِ . . وكـانَ جالوتُ يُشبِـهُ إعصاراً مُـدمِّراً لا يُقـاومُه أحَد .

كان طالوتُ حَكيماً فأَدركَ أن جَوهَـر النَّصرِ لا يَكمُن في قُوةِ السلاحِ بِقدرِ ما يَخضَـعُ لِقُوةِ الإرادةِ ، أدركَ أَن الغَلَبَـةَ ليستْ بـأَعـدادِ الجُنـودِ إنمـا بِصـلابـةِ العَزيمة . . وهكذا آطمأنَّ طالوتُ لِقُوةِ الجيشِ ، ولكنّـه لم يكُن قـد آطمـأنّ بعد لِقُوةِ الرُّوحِ المَعنويّةِ عند الجُنـودِ والقادةِ . .

ولهـذا قـرَّرَ أن يَمتحنَ هـذا الجيشَ قبل أَن يَخوضَ به المعركةَ الحاسِمة مع عدوِّهِم جالوت . .

وأَمـر طالـوتُ جيشَه أن يسيـرَ وسطَ صحراءٍ مُحرقةٍ . .

ظلَّ الجيشُ يسيرُ أيَّاماً وليـاليَ وسطَ هــذه الصحـراءِ حتى بـلغَ العـطشُ بالرجالِ كلَّ مَبلغٍ . .

وآنتهى كـلُّ المـاءِ الـذي يَحمِلُه الجُنودُ والضُّباطُ . .

كانت نِهايةُ الرِّحلِة في الصحـراءِ قد آقتربَت ، وكان طالوتُ يعـرفُ أن هناكَ نَهراً قَريباً ماؤُه شـديدُ العُـذوبةِ ، وقـرَّر طـالوتُ أن يكـونَ هـذا النهـرُ هـو أولَ

آمتحانٍ عَمليٍّ لجيشِه . .

جمعَ طالوتُ قادةَ الجُندِ والألويَة وقال لهُم : نَقتربُ الآن من نهرٍ سوفَ يَعبُرهُ الجيشُ . . لا تَشربوا مِن هذا النهرِ . . بلِّلوا شِفاهَكُم وأيديَكُم بالماءِ فقط . .

قال قادةُ الجُندِ : لكن الجيشَ يحسُّ بالعَطشِ . .

قال طالوتُ : من يشربُ من هذا النهرِ فليسَ منِّي . . إلا من آغترفَ غرفةً بيدهِ . . ومن يشربُ من النهرِ فَلينسحبْ من الجيشِ . . آعلمُوا أن الله يراكُم .

آنقُلوا أَوامِري للجُنودِ وتَهيّأوا لعبورِ النهرِ . .

نَقلَ القادةُ والضُّباطُ أوامرَ طالوتَ للجُنودِ ، وبدأ الجيشُ يعبرُ النهرَ . .

كانَ الامتحانُ قاسِياً . . فالدُّنيا شَديدةُ الحَرارةِ ، والماءُ عذبٌ وباردٌ . . والإغراءُ قويٌّ . .

وشربَ مُعظمُ الجنُودِ من النهرِ ولم يَستطيعوا مُقاومةَ الإغراءِ . .



آنتهى عبورُ الجيشِ للنهرِ . .

أَخرجَ طالوتُ كلَّ من عصىٰ أوامرَه وشربَ من النهرِ . .

كان الجيشُ كبيراً قَبلَ أن يعبُرَ النهرَ ، ولكنّه بعدَ عُبورِ النهرِ وخُروجِ من خرج منه تغيرَ تَماماً . .

آنكمَش الجيشُ إلى أَقلّ من النِّصفِ . .

قالَ قادةُ الجيشِ لطالوت : لقد آنكمشَ عَددُنا كثيراً . . فكيفَ نُقاتلُ جيشَ جالوتَ الهائلِ بهذا العددِ القليلِ ؟

قالَ طالوتُ : ليست العبرةُ في

القِتالِ بعددِ المُقاتلين، المُهم إرادَتُهم .

قـالَ القـادةُ : لقــد خـرجَ مُعــظمُ الجيشِ . . ولم يبقَ سِوى القليلِ .

قـالَ طالـوتُ : بل بقيَ الكثيـرُ . . لقـد خـرجَ غيـرُ المُخلصينَ . . وبقيَ المُخلصـونَ الصَّـابـرونَ . . والصبـرُ طريقُ النصرِ وأداتِه . .

وآنخَـرط الجيشُ في حوارٍ حـولَ ما فعلهُ طالوتُ . .

قـال أحدُ الجُنـودِ : لو أن طـالـوتَ تَركنا نشربُ من النهرِ لزادَ عددُنـا ونحن نُحاربُ جالوتَ . .

قالَ ضابطٌ في الجيشِ : إن العـددَ لا يكسبُ الحربَ أبداً . .

تسـاءَلَ الجُندي : مـا الذي يُكسِبُ الحروبَ إذن ؟

قــال الضــابطُ : شيءٌ لـيس هــو السـلاحُ ، وإن كـان السـلاحُ مُهمـاً ، وشيءٌ ليس ظـاهِراً وإنمـا هو خفيٌّ . . شيءٌ يُسمُّـونَـه الـرُّوح . . . أو إصـرارُ الــروحِ على الكسبِ . إن الجُـنـديَّ الذي لا يَستطيعُ الصّبرَ على العطشِ لا يستـطيعُ الصبرَ على حرارةِ المعـركـةِ وعَـطشِها . . والجُنـدي الذي لا يتبعُ أوامِـر قـائِـدِه يُمكنُ أن يُؤدِّي لإربـاكِ الجيشِ كُلهِ في المعركِة .

لقــدَ خـــرجَ من الجيشِ ضعــافُ الـروحِ . . وبَقيَ الأقـويـاءُ . . وغـداً نَرى مَا نفعلهُ مع جَالوت . .

وشـاعَ الإيمـانُ العميقُ في الجيشِ وقـالَ المُؤمنونُ : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَـةً كَثِيرَةً بِـإِذْنِ ٱللهِ وَاللهُ مَـعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال
ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم
بالظالمين ۝ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا
قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم إن
آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل
موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم
مؤمنين ۝ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا
معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله
مع الصابرين

صدق الله العظيم